شخصيته ، واصبح هذا الفرد وحريته هو العنصر الاهم • واذا كان العقليون قد ركزوا على نسق الطبيعة العام بوحي من رؤى العلم النيوتوني ، الالي والكوني، فقد توجه الرومنسيون الى ما هو اخص في الطبيعة البشرية ، وفي الفرد • كان مثلهم الاعلى ليس في انتشار المعرفة العقلية والعلم ، بل في نمـــو الملكات ، وانماء الامكانات الفذة والكامنة في الانسان ، نموا كاملا •• نمو الانسان مـن الداخل ، او باطن الانسان ضد المعتقدات المتوارثة والمؤسسات المصطنعة (١١)•

ولا شك ان تاكيد الرومنسيين الملحوظ على الفردية كان حافزا قويا للمذهب الفردي الاقتصادي ، الذي كان يبني نظام المصنع والرأسمالية الحديثة • وكان هؤلاء يدعون ايضا الى الاعتماد على النفس ، كانت الثورة الصناعية في جانب الاجراء من كل صنف ومذهب • الكل كانوا يتجمعون حول صيحة الحرية ،والتي كانت تعني بالنسبة اليهم : الحرية الاقتصادية والفردية والمنافسة الحرة وحرية العمل • وفي حقل السياسة كانت هذه الحرية تعني على وجه التحديد استـلام الطبقة الوسطى لزمام السلطة الفعلية • وكانت المساواة تعنى الغاء الامتيازات الاقطاعية والطائفية والدينية ، وان يصبح لكل انسان فرص متساوية ، بصرف النظر عن طبقته او دينة او هويته •

مفتاح النظرة الرومنسية اذن سواء في الادب او الفلسفة او السياسة هـــو ثورة الغرائز والعواطف الفردية ضد القيود الاجتماعية ، وبالرغم مـــن ان الرومنسية عموما كانت تجنح نحو الكاثوليكية ، الا ان هناك عنصرا بروتستنتيا لا يخفى في نزعتها الفردية (١٢) : والواقع ان العناصر الثورية والمحافظـــة تختلط اشد الاختلاط في التيارات الرومنسية ، وبرغم المنبت الثوري للرومنسية، فقد حملت منذ البداية عناصر الرفض للعقلانية ، وتغليب الغرائز والعواطف على العقل • وقد تحولت الفلسفة المثالية خلال القرن التاسع عشر بوجه الخصوص، وبتاثير من الفلسفات المثالية الالمانية ذات النزعة الرومنسية ، والتي كان لهـا الغلبة والسطوة خلال القرن ، الى فلسفة ذاتية (١٣) • وسنشهد فـــي هـــذه الفلسفات ايضا ، الاختلاط الشديد بين العناصر الثورية والرجعية ، بين نزعات التمرد والمحافظة في نفس الوقت ، حتى تستقطب الامور في النهاية بين تيارين: تيار الثورة ، وتيار الردة والنكوص •

ولا شكان سيادةالفكر الالماني بدءا بكانت وليبنتز ، كان من العوامـل ذات الاثر البعيد في القرن التاسع عشر ، وكان هذا الدور البارز والنشط للفكـــر الالماني يرجع الى الظروف التاريخية التي مرت بها هذه الامة بعد ان تحولـت طرق التجارة عنها الى الغرب ، وبعد ان مزقها الاصلاح الدينـــي ، وحـــرب الثلاثين • مزق ما بقي من وحدتها منـــذ الامبراطورية الرومانيـــة المقدسة ، وتحولت الى مجموعة من الامارات تحت رحمة فرنسا ، وفي القرن الثامن عشر لم تنجح سوى دولة المانية واحدة هي بروسيا ، في مقاومة الفرنسيين ، وهـــو